هوامش

صناعة شباك الصيد يدوياً من الحرف المتوارثة في المدن الساحلية بمصر، وتعتمد هذه المهنة على المهارة والصبر. وبالرغم من التحديات التي يواجهها العم جمعة، إلا أنه وغيره من الصيادين مستمرّون في مهنة غزل وحياكة الشبك

مهنة مهدّدة بالزوال مع التقدّم التكنولوجي (العربي الجديد)

غزل شباك الصيد

حكاية العم جمعة وبحر الإسكندرية

الإسكندرية ـ **أحمد عبده**

بينما يتسلّل أول شعاع للشمس إلى رمال شواطئ الإسكندرية شمالي مصر، في الدقائق الأولى بعد أذان الفجر من كل يوم، يصل الرجل الستيني، عم جمعة، الذي يمتهن صناعة شباك الصيد يدوياً، إلى رصيف الكورنيش في وسط المدينة الساحلية، حاملاً أدواته القديمة ليبدأ يوماً جديداً من العمل الشاق في صنعته التي ورثها عن أجداده، وتمثّل مصدر رزق أسرته.

صناعة شباك الصيد يدوياً من الحرف المتوارثة في المدن الساحلية بمصر، وتعتمد هذه المهنة على المهارة والصبر. وبالرغم من التحديات التي يواجهها العم جمعة، إلا أنه وغيره من الصيادين مستمرّون في مهنة غزل وحياكة الشبك التي ورثوها عن الآباء والأجداد منذ صغرهم.

يقول جمعة غانم لـ«العربي الجديد»: «لا بد من الوصول مبكراً إلى حياكة وتصليح الشباك التي يحتاجها الصيادون في أعمالهم، واعتادوا منذ سنوات على وجودي في ذات المكان على شاطئ الميناء الشرقي في منطقة الجمرك قبل رحلات الصيد وبعد عودتهم منها».

يضيف: «أمارس مهنتي على الشاطئ في ذات المكان، فأصنع شباكاً جديدة، وأعرضها للبيع على الصيادين، كما أُصلح شباكهم القديمة المهترئة بفعل الزمن والمياه المالحة وشدة الأمواج».

يشير عم جمعة إلى أن مهنة غزل الشباك تعتمد على المهارات الحركية اليدوية الدقيقة للصياد أو الحرفي، ومعرفته بالخيوط والأدوات، ليكون عملاً إبداعياً في تصميم الشباك. ورغم أنه عمل شاق، لكنه ممتع للغاية، يتطلب الصبر والدقة والاهتمام بالتفاصيل».

يستطرد الرجل الستيني: «يستخدم عامل غزل الشباك مجموعة متنوعة من الأدوات، ومنها إبر الحياكة وبكرات الخيط والسكاكين والمقصات والميزان وشريط القياس والمغزل والشوكة لغزل الخيوط وصنع الشباك التي تستخدم في صيد الأسماك».

وتحدّث عن أنواع شباك الغزل قائلاً: «تعتمد الشباك على الوظيفة ونوع الأسماك التي تُصطاد، وذلك حسب مواصفات الهيئة العامة للثروة السمكية التي تشترط مقاسات محددة ومتساوية لفتحات الشباك لمنع صيد الأسماك الصغيرة». كما تحدّث عن لجوء الصيادين إلى إصلاح التالف من الشباك يدوياً بدلاً من شراء جديدة نظراً إلى ارتفاع الأسعار، ولأن أي ثقب بها كفيل بخسارة رزق البحر. ويزداد الطلب على إصلاح الشباك خلال الصيف في كل عام، لاستقرار الطقس وإقبال الهواة من أبناء الإسكندرية وزوارها على ممارسة الصيد، بينما في فصل الشتاء تقل حركة الصيد بسبب النوات الشتوية، خاصة مع تطوير بعض الأنواع من الشباك التي تتناسب مع إمكانات الهواة، ولا تستلزم وجود صياد مُدرب ومحترف.

يضيف: «حجم الشبكة يكون حسب الطلب، ولكن الحجم المعتاد لها يكون طوله 45 متراً وبعرض متر واحد وتسمى فرقة، ويتراوح سعرها بين 2000 إلى 4000 جنيه على حسب نوع الغزل المستخدم، وتحتاج إلى أربعة أيام من العمل».

وعن أفضل بيئة لممارسة المهنة يقول إن مهنته أوشكت على الانقراض على أيدي أصحاب المصانع الحديثة التي تنتج الشباك باستخدام الآلات والماكينات، ما أدّى إلى القضاء على أرزاق المئات ممن عاشوا على الغزل اليدوي للشباك، بينما يظل عدد قليل من القابضين على الجمر يصرّون على مواصلة التحدي بالعمل اليومي الشاق في أي ظروف.

وعن تاريخ المهنة يؤكد العم جمعة أنه منذ عشرات السنوات كان غُزّال الشباك يمارسون أعمالهم في مجموعة متنوعة من البيئات، سواء في الورش الصغيرة التي كانت تملأ منطقة الأنفوشي، أو فوق أسطح بيوتهم، أو في الهواء الطلق كما يفعل حالياً، مشيراً إلى أنه منذ زمن بعيد كان غُزّال الشباك يجدون فرصاً للسفر والعمل في دول أوروبا، خاصة اليونان وتركيا وإيطاليا.

يتابع: «كما كان الأجانب من تلك البلدان يأتون إلى الإسكندرية للاتفاق على شراء كميات من الشباك، وذلك بسبب السمعة الطيبة التي كان يمتاز بها الصانع المصري وقتها».

وبالإضافة إلى كونه عملاً شاقاً، يقول العم جمعة إنه واجه في مهنته صعوبات كثيرة، ومنها أن العمل غير منتظم وغير مستقر، ما يجعل الدخل متقطعاً، ويؤثر في مصروفات البيت والأسرة، إضافة إلى عدم توفيره معاشاً لكبار السن، واضطرار العامل في المهنة إلى مزاولتها حتى آخر يوم في عمره، حتى يتمكن من تحقيق الدخل، حتى وإن كان طريح فراش المرض.

وطالب عم جمعة الجهات الحكومية بالحفاظ على ما تبقى من مهنة غزل الشباك، باعتبارها مهنة قديمة وضرورية، وتكافح الانقراض الذي يفرضه عليها التطور التكنولوجي، إذ إنها شكّلت على مدار قرون مضت جزءاً أصيلاً من التراث الثقافي لدول حوض البحر المتوسط.

باختصار

تعتمد الشباك على الوظيفة ونوع الأسماك التي تُصطاد، وذلك حسب مواصفات الهيئة العامة للثروة السمكية التي تشترط مقاسات محددة لفتحات الشباك

■■■

يزداد الطلب على إصلاح الشباك خلال الصيف في كل عام، لاستقرار الطقس وإقبال الهواة من أبناء الإسكندرية وزوارها على ممارسة الصيد

■■■

حجم الشبكة يكون حسب الطلب، ولكن الحجم المعتاد لها يكون طوله 45 متراً وبعرض متر واحد وتسمى فرقة

وأخيراً

ماذا لو عاد إلى الحياة؟

سما حسن

من الأفلام العربية المؤثّرة التي لا نتخيّل حدوثها على أرض الواقع، «بريق عينيك». يتناول قصّة زوجة تكتشف خديعة زوجها لها بإخفاء زواجه بأخرى، ولديه طفل منها، فتطلب منه الطلاق، ولكنه يرفض ويسافر، لكي تسقط الطائرة التي استقلّها، ويعتقد الجميع أنه قد مات، وتقرّر أن تنسى الماضي حتى يظهر رجل آخر وتتزوّجه وتعيش معه أجمل أيامها، ولكن الماضي سرعان ما يطرق بابها ويعود زوجها الذي ظنّت أنه ميّت، وحين يعلم بزواجها يتحوّل إلى إنسان منتقم، وتخوض الزوجة معركة قانونية تنتهي بخسارتها وانتقالها إلى ما يُعرف ببيت الطّاعة بطريقة مُهينة، إمعانا في إذلالها، بعد إقرار المحكمة بطلان زواجها الثاني، وهنا يكمل الزوج الأول انتقامه بإيقاع الطلاق الفعلي عليها.

أثّرت فيّ قصة هذا الفيلم، إلى درجة لا توصف، بسبب ظلم الزوجة، فالزوج العائد إلى الحياة كان يراها خائنة، ونسي خيانته وخداعه لها سنوات، وقد سبق أن تناولت الأفلام العربية والمسرحيات القديمة هذه الثّيمة، أي الزوج العائد إلى الحياة، وحبكوا قصصا ذات طابع كوميدي حولها، بحيث يخوض الزوجان حربا من أجل الظفر بالزوجة المشتركة.

لم ألتقط مثل هذه الواقعة فعليا في قطاع غزة، الذي عشت فيه الجزء الأكبر من سنيّ عمري، وحيث كانت الأعراف تقتضي بأن تتزوّج الأرملة الشّابة من شقيق زوجها لعدّة أسباب: أهمها المحافظة على أطفال الزّوج الراحل، لكي لا ينشأوا في كنف رجل غريب، فلن يكون هناك رجل أكثر حنوّاً عليهم من شقيق الأب. والسبب الثاني أن يكون الزوج الراحل قد ترك ثروة ويخشى ذووه أن تذهب إلى رجل غريب، فيقرّرون تزويج الأرملة من شقيق الزوج حتى لو كان لديه زوجة أولى. ولذلك تصبح الأرملة في مجتمعنا جبهة قتال خطرة لزوجات أشقّائه، تفتح بمجرّد وفاة زوجها. ويبدو أنّ هذه العادة متوارثة منذ زمن بعيد، وحيث اعتاد العرب أن يذهب شقيق الزوج، وبمجرّد أن يموت شقيقه إلى أرملته، وهي لا تزال تبكي وتنوح على زوجها المسجّى، فيُلقي نحوها عباءته دلالة على أنه سوف يتزوّجها بمجرّد انتهاء عدّتها الشرعية، وإن أمسكت بها ولفّتها حول جسمها بقوّة وإحكام، فهذا دليلٌ على أنها ترغب في أن تصبح زوجة لهذا الشّقيق، رغم أنف زوجته أو زوجاته.

حدثت، أخيراً، قصة غريبة تؤكد لي أن الفيلم الذي رأيته في ثمانينيات القرن الماضي قرّر أن يتكرّر في أحلك ظروف غزة، وحيث تزوّجت أرملة من شقيق زوجها الذي ظنّ الجميع أنه قُتل في الحرب، وذلك بسبب اختفائه منذ الأيام الأولى، وعدم وجود أي خبر عنه يفيد عكس ذلك، وقد سارع أهل الزوج بتزويجها من شقيقه، لأن الزوجة فقدت كل عائلتها ولم يبقَ لها مكان تذهب إليه، فبقيت مع أهل زوجها حتى انقضت عدّتها الشرعية، فعقدوا قرانها على ابنهم الثاني، والذي لم يسبق له الزواج، حفاظا على أرملة ابنهم الذي فجعوا به، وحفاظاً على أطفاله أيضا. ومرّت الأيام، وظلّت العائلة تنزح من مكان إلى مكان، حتّى ظهر الابن العائد إلى الحياة، فقد تبيّن أنه كان معتقلا في سجون الاحتلال، وهنا حلّت الكارثة، والتي لم تُعرف نهايتها بعد.

في غزة، وبسبب هذه المقتلة الجنونية، هناك أعداد لا تُحصى لمفقودين يجهل أهلهم مصيرهم، ومنهم من مات فعلا، وتحلّلت جثّته تحت الأنقاض، أو مات في سجون الاحتلال. وفي كل حالة هناك دليل قاطع على موت الابن، واستحالة عودته إلى الحياة، أمّا بؤس الواقع الذي يدفع زواج أرملة من شقيق زوجها من دون أن ترى جثّة أو أشلاء أو بقايا متحلّلة، فهذه واحدة من تداعيات الحرب المؤسفة والموجعة، مع غياب إحصائيات مؤكّدة حول الموتى والمفقودين، والتي تُضاف لقائمة طويلة من المعضلات التي تواجه المجتمع الغزّي، وتحتاج إلى حلٍّ سحري لتجاوزها.

> في غزة، وبسبب المقتلة الجنونية، هناك أعداد لا تُحصى لمفقودين يجهل أهلهم مصيرهم، ومنهم من مات فعلاً

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ Switzerland **CHF 3,50**, Spain **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, Austria **€ 2,50**, UK **£ 1,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**